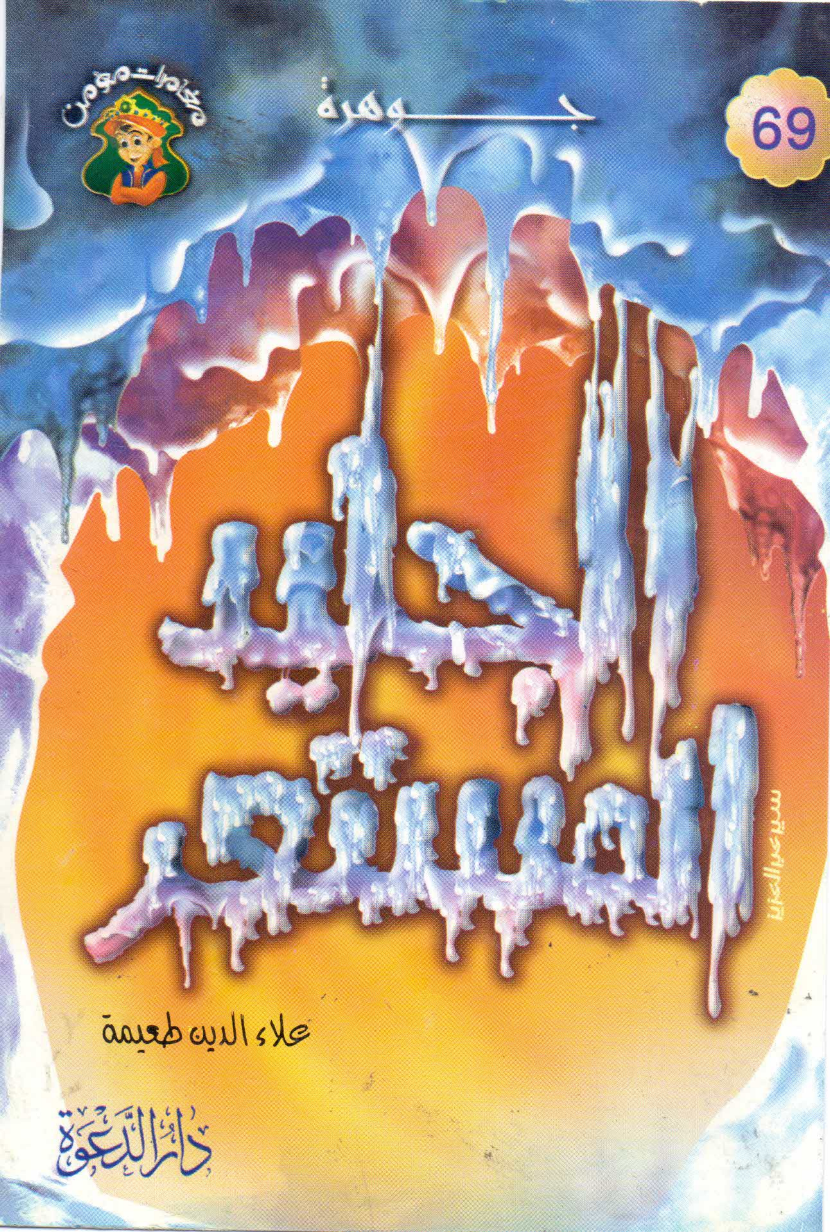

مغامرات مؤمن
جوهرة
69
الجبل المتجمد
سمير عبد العزيز
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



• سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق

• أغرب الرحلات والمفارقات

• تجمع بين المتعة والمعرفة

• لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات





٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ — ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

مغامرات عجيبة جداً

جوهرة الجليد المستعر

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانونى: ٢١٩٨ / ٢٠٠٦م
الترقيم الدولى: 3 - 386 - 253 - 977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

مغامرات مؤمن

جوهرة الجليد المستعر

تأليف:

علاء الدين طعيمة

رسوم

عبد الرحمن بكر





مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر فى رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفى كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان- يفلح فى إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

الجليد كما يعرف الجميع هو ماء تجمد بفعل خفض درجة حرارته إلى ما دون الصفر؛ حيث تتحول جزيئات الماء إلى بلورات لها أشكال مختلفة تلتصق ببعضها البعض منكمشة.. وتضيق المسافة بين الذرات فتتماسك.. وهكذا يتحول الماء السائل إلى جليد صلب.

يمكنك وضع إناء به ماء في مبرد المنزل «الفريزر»؛ حيث يتحول إلى جليد، لكن إذا تعرض لحرارة عالية عاد مرة أخرى إلى سائل دون أن يغير ذلك في تركيبه.. كان ماءً وعاد ماءً.

كلما ارتفعنا لأعلى كلما انخفضت درجة الحرارة، هناك حيث يتكثف بخار الماء متحولاً إلى سحاب..

وكلما اقتربنا أفقيًا من القطب الشمالى أو القطب الجنوبى للأرض كلما انخفضت درجة الحرارة.

هناك يتجمد ماء البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات.. حتى يمكنك المشى فوق سطح بحيرة أو محيط دون أن تغرق.

خلق الله الأرض فى توازن بيئى عجيب... ويخشى العلماء أن تؤدى ممارسات الإنسان إلى رفع درجة حرارة الأرض بشكل يخل بالتوازن الطبيعى لهما... مما قد يتسبب فى إذابة جليد القطبين.

وأنت إذا ذهبت إلى الشاطئ يومًا ستجد الماء على حواف المدن الساحلية.. تسأل نفسك ماذا لو ازداد هذا الماء وزحف حتى دخل المدينة.

إذا انصهر جليد القطبين المتجمدين فأين يذهب الماء

السائل غير أن يملأ البحار والمحيطات بكميات هائلة لن تجد لها مكانًا سوى إغراق كل المدن الساحلية حول العالم.

كان هذا الأمر يؤرقنى كثيرًا.. حتى رأيت فى نومى ذات ليلة أننى أقف فى شارع بورسعيد بالإسكندرية ورأيت البحر ينسكب على الشارع من فوق أسطح العمارات.. فقمت أحمد الله أنه مجرد حلم.

إذا أردت أن تتأكد مما سيحدث... أحضر إناء له حافة عريضة... املأ الإناء بالماء وضع ثلجًا على الحافة... سيسيل ماء الثلج بفعل الانصهار فيزيد من ملء الإناء حتى يفيض فيغرق المنضدة.

وهذه المخاوف حقيقية... إذ إن العلماء يتابعون الآن زيادة كبيرة فى منسوب الماء فى البحار... وإذا توفرت

لك خرائط لمنطقة ساحل دلتا مصر منذ مائة عام وقارنتها بخريطة اليوم.. ستجد أن البحر التهم مساحة كبيرة من اليابسة. ومازال مستمراً.

وعند ذهابك إلى القطب الشمالى... ستجد المحيطات متجمدة... وهناك ما يسمى بالمحيط المتجمد الشمالى... وهناك ستجد جبالاً شاهقة لا تتكون إلا من الماء المتجمد... كما أن هذه الجبال لا تطفو فوق سطح الماء.. بل إن قاعدتها التى تزيد مساحتها كلما انخفضنا تغوص لمسافة هائلة فى القاع الذى قد يكون سائلاً بفعل الحرارة الداخلية للأرض.

إذا قرأت من قبل مغامرة مؤمن «الصقيع المظلم» ستتعرف أكثر على هذه المناطق.. والعجيب أنه سيمر فى مغامرتنا هذه بمنطقة قريبة منها... حيث كان فى الصقيع

المظلم يكافح من أجل صيد قطيع من حيوان الكاريبو لسد دين رجل طيب وإنقاذه من الفقر... فما الذى سيكافح من أجله فى هذه المغامرة «الجليد المستعر»؟ هيا بنا...

بعد رحيله عن المدينة التى نكبت بالزلزال، ثم شارك فى تعميرها... عرف موقع الميناء الذى فى البدء بحث عنه ثم عرج عليه... وكانت وجهته التالية قبيل منطقة ألاسكا.. حيث كل البلاد هناك يكسوها الجليد معظك أيام السنة... أحيانًا يخبره التاج بأماكن مرهقة... ملابس ثقيلة أعطاها له أهل المدينة قبيل الوداع لما عرفوا بوجهته... أخذ يسترجع الذكريات وهو فى السفينة التى كانت تكسر قشرة الثلج الخفيفة التى تغطى السطح المحيط بينما تهم بالرسو على شاطئ بعيد لا يعمره سوى بعض صيادين الحيتان فى أكواخ متناثرة هنا وهناك.

هبط هو وحده من السفينة مع حمولة من الخضراوات أرسلت لقرية الصيادين. نال راحة فى هذه القرية البسيطة التى لم يجد فيها فندقًا أو مطعمًا غير كشك من الخشب المهترئ يطل من نافذته عجوز متهدل الشاربين:

- هل أجد طعامًا لديك أشتريه من فضلك.

- شطيرة الجبن بالباذنجان المقلى.

حمل الشطيرة الكبيرة بين يديه وأخذ يلوكها بنهم... فلم تقدم السفينة له طعامًا منذ الأمس لاقتراب رحيله عنها.

وها هو يأخذ القلم من يدى كعادته ليتحدث إلينا مباشرة.. هيا يا مؤمن:

- زيت الباذنجان يتساقط من الشطيرة الساخنة ويسقط

على الأرض، وفى أثناء رحلته الصغيرة هذه يتحول إلى قطع متجمدة من الزيت... يا له من برد فظيع... ماذا لو لم أعثر على هذه الشطيرة من الجبن الذى لا يختلف كثيراً عن الجبن القديم «المش» الذى تحضره أمى دائمًا فى بلاص فخارى لا يفرغ أبدًا.

رأيت ما يشبه المقهى... فسرت أجر حقيبتى جرًا على الجليد بيد وبالأخرى مازلت التهم الشطيرة المحشوة بالجبن والباذنجان.

وصلت للمقهى... طلبت شرابى المشهور وهو الشاى الساخن، وسألت النادل الذى لم يعجبه تواجدى فى القرية، سألته عن بلدة تقع على بحيرة، فلم يجبنى واكتفى بأن قدم لى الشاى ورمقنى بنظرة احتقار لم أعبأ لها غير ما يمتزج بها من ملامح شفقة بدت منه علىّ.

شربت الشاى فى وقت قياسى... فلو تلكأت لتحول الكوب الساخن إلى قطعة من الثلج ... كل هؤلاء الصيادين يصرّون على تربية شواربهم حتى تنسدل نحو الشفة السفلى رغم أن أنفاسهم الدافئة تتحول إلى ثلج لا يزول أبداً من تحت أنوفهم كأنهم اختاروا شوارب من زجاج ويعجبهم ذلك.

لا ترى بخاراً سوى من براد الشاى ومن أفواه الناس ومناخر الجياد. أما عدا ذلك فهو الثلج الذى لا يدع منكبيك أو رأسك أو حذاءك... وإذا استعملت أصابعك فى شىء فيمكن أن تتجمد، فنادراً ما ترى الأيدى إلا وهى فى الجيوب المحشوة بفراء المنك.

تحركت زاحفًا على الكرسى الطويل لأقترب من جارى فى المنضدة، سألته كما سألت النادل... لم

يحتقرنى كما فعل النادل الآخر.. بل رمقنى ساخرًا كأنه يشير إلى جنونى أو رعونتى، ثم قام بعد أن ألقى فى جوفه كوب الجعة دفعة واحدة وهو يلقى برأسه للخلف، ثم انصرف يهز رأسه تعجبًا.

ماذا هناك... ماذا يوجد فى سؤالى عن القرية الواقعة على البحيرة... لابد أن هناك سوء تفاهم أو لبسًا.

رأيت رجلاً جالسًا على الأرض أمام باب المقهى مستندًا بظهره إلى جدارها لا يعنيه شيئًا ولا يرد تحية القادمين إلا وهو لا يهتم بهم... خرجت إليه بعد أن وضعت ثمن الشاى على المنضدة:

- سيدى.. أين البلدة التى تقع على بحيرة فى هذا المكان.

قال كما توقعت دون أن ينظر إلىَّ:

- هناك مدق يغطيه الثلج على يمين هذه الشجرة... فى نهايته تجد البلدة.

شكرته ثم انصرفت وأنا أشعر بأنه أعارنى نظرته على غير عادته، ومع ذلك مضيت حتى وصلت إلى الشجرة التى أشار إليها ثم أدركت المدق عن قرب.. لكن هل سأمشى أم علىّ أن أستئجر زلاجة تجرها الجياد... يا إلهى... نسيت أن أسأله عن المسافة... قد يستغرق الأمر يومًا أو يزيد، ما يدرينى.

أردت أن أستدير لأبحث عن زلاجة أو أحد يدلنى على بُعد البلدة التى أقصدها، فإذا بالرجل الذى أجابنى يجرى نحوى متعثرًا فى سمنته الكبيرة وكرشه المتدلى.

- يا ولدى... يا ولدى... أأنت غريب؟



- نعم... نسيت أن أسألك عن المسافة.. كم نبعد عن تلك البلدة:

- اسمع... أنت لا تعرف شيئًا... لا تذهب إليها مهما جرى.

- سبحان الله... لماذا يا سيدى...؟ هل أبيدت من الوجود.

- لا... موجودة... وبخير... لكن أطعنى ولا تلق بنفسك إلى التهلكة.

- مستحيل... أنا آت من بلاد بعيدة عبر سفر طويل... يجب أن أكمل المشوار.

- ستلقى مصرعك هناك... طاوعنى ولا تذهب.

- أخبرنى... أخبرنى بالله عليك... ما نوع الخطر الذى تخشى علىّ منه؟



- ليس عليك وحدك... بل على أى غريب يذهب هناك... سيقطع عليك الطريق لا محالة... وسيقتلك... إنه لا رحمة لديه حتى مع الأطفال والنساء.

- من هو الذى سيقطع علىّ الطريق؟

- البطريق.

- البطريق؟... ما هذا... سمكة أم... أم ماذا؟

- قاطع طريق... رجل سفاك دماء لا يشبع منها أبداً... يجلس عند المنفذ الوحيد للبلدة... ولأنه منها فهو لا يمس أحداً من أهلها بسوء... لكن يا ويل الغريب عنها إذا أراد دخولها... كما أنه يسطو على القوافل والمارة بدون سبب، يأخذ ما معهم ثم يقتلهم مهما توسلوا إليه... إنها طريق مرعبة... معذرة يا ولدى...

- معذرة يا بنى.. استجبت إلى سؤالك لأنى أحسست بلهفتك وشدة رغبتك للذهاب لهذه القرية ولكنى أخشى عليك مخاطر الطريق والرجل الذى يدعى البطريق.

- قلت فى نفسى بصوت مسموع:

- وما العمل الآن فى هذا الرجل؟

ظن أننى أتحدث عن قاطع الطريق فى حين أننى كنت أقصده هو، فقال:

- لا عمل يمكن أن تعمله سوى.. إما أن تبقى هنا فى سلام أو ترجع لبلادك بلا شر... لكن لا تذهب إلى بلدة البحيرة أبدًا.

لولا أن التاج أخبرنى أن مغامرتى هناك ما ذهبت.. فالمرء يكون حكيمًا إذا نأى بنفسه عن الأخطار ولم يدَّعِ الشجاعة... مثل رجل رأى بئرًا

ممتلئة بالحيات النائمة فألقى بنفسه إليها ليختبر شجاعته فنهشت لحمه... لكن أن يكون في البئر ماء الشرب ومصدر الحياة.. فعندئذٍ تختبر الشجاعة بحق.

وبعد إلحاح شديد. أفصح الرجل لي عن كل ما أحتاجه من معلومات عن القرية.

كان لا يشعر بنفسه... لذا فقد أفصح عن كل ما أريده من معلومات..

ذهبت كي أستأجر زحافة وهي عبارة عن عربة صغيرة تجرها الكلاب فوق سطح الجليد الأملس... ولما علم صاحب هذه العربات بوجهتي اشتط في سعر الإيجار قائلاً لي:

- ستدفع ضعـفين يا صديقى... فأنت هالك ولن ترجع لى زلاجتى.

كنت من قـبل أعرف كـيفـيـة قيـادة الكلاب... فكم استعملت هذه العربة فى مـغامرة الصقيع المظلم... الآن أعرف الطريق... المسـافة... لدى وسـيلة المواصلات... أعرف أن خطرًا كبيرًا سيلاقينـى... مستعد ومعى سيفى وجعبـة سهامى وقبل ذلك كله مـعى ربى وعليه توكلت وإليه المصير.

انطلقت الكلاب تلهث... وهذه طبيعـتها، إذا قسوت عليهـا وأمرتهـا بالإسراع لهـثت وإذا تركتـها تسيـر على هواها تلهث... هذا مثل ضربه الله تعالى للإنسان الذى لا فائدة ترجى منه... فـهو إن عاقبتـه أو جازيته خيـرًا وأثبته ظل على مـا هو عليه... يلـهث. فكم من رجل ظل يبكى

ويرتكب الحرام لأنه فقير فإذا أغناه الله من فضله وأنعم عليه ورحمه لم يتغير وظل على حاله يرتكب الحرام...

لم تكن البحيرة والبلدة التى أقصدها تبعد كثيراً عن مكانى على الشاطئ... عند الظهيرة إن كتب الله لى السلامة سأضع رحالى بها... كان الطريق ناعمًا زلقًا لا تصادف عيناى طوال المشوار إلا أشجار الأرز الباسقة وبياض الجليد... لا شىء غير ذلك... كنت سعيداً حقًا وأنا أستعيد ذكريات الماضى.

قابلتنى غابة من الأشجار أحببت أن أستريح وأريح الكلاب وأتمكن من الصلاة ثم أعاود الرحلة.

توقفت بجانب شجرة على طرف الغابة ثم سويت حالى وبدأت أصلى، وبينما أنا خاشع بين يدى الله سمعت صوتًا يقترب منى بسرعة مصحوبًا بصراخ آدميين.

وفجأة اصطدم شيء قوي بالأشجار عن يساري وكنت في الركعة الأخيرة... شوش عليّ صوت كلاب وهي تزوم في ألم وآهات رجل أو رجلين.

سلمت عن يميني وعن يساري، ونظرت لأجد زحافة أخرى مصطدمة بشجرة ورجلين على جانبيها يتألمان وتدحرجت الكلاب.. أغثت الرجلين وأسعفتهما... ثم أخبراني بأنهما فقدا السيطرة على الزلاقة بسبب إصابة كلب من الكلاب بكسر في قدمه... وبينما طلبت منهما السماح لي بأن أكمل صلاتي كانا يعالجان الزحافة ويتابعان كلابهما.

عندما أصلي أخشع قدر استطاعتي. فأنخلع من الدنيا وأقبل على ربي الذي أقف بين يديه... فلا أكاد أشعر بشيء حولي إلا بعبوديتي وفقري

وانكساري لله رب العالمين... بعد أن انتهيت من الصلاة نظرت خلفي فإذا بهما قد فارقاني.. لكن مع تصرف نذل خسيس... أخذا زحافتي وكلابي وأخذا طعامي وشرابي وما كان معي من مال... بالإضافة إلى ملابسي وأغطيتي، وتركا لي زحافة مكسورة كلابها تئن من الألم وأحدهم ميت. أحمد الله أنني لا أدع سلاحي حتى وأنا أصلي وإلا لفكرا في قتلي... ولو أنهما كانا يعرفان عن صلاتنا شيئًا لقتلاني فعلاً لما يكون فيه المسلم من خشوع لله .

لم يكن أمامي إلا أن أصلح الزحافة المكسورة قدر الإمكان وأن أتخلص من الكلب الميت وأداوي المصاب... مضت ساعة وأنا أعد حالي لاستكمال

الرحلة... وددت لو تـفطنت لهـمـا، ولو أن قـلبى دلنى على أنهما لصان قبل أن آمن لهما.

انطلقت مـن جـديد فى طريقى إلى الـبلدة ولا أعلم مـاذا سيـقابلنى بـعد ذلك.. كـانت الأرض ترتفع وشق ذلك على الكلاب... لكن لا مـحيص من التـقدم بعض الشىء.. حتى أصـبحت فى أعلى مكان، ورأيت الخليج أو البحـيرة من بعيد ولمحـت البلدة وأدركت أننى قريب منها.

هبطت بسـرعـة وساعـد ذلك كـلاب الهـسكى التى سَحبتنى إلى مزيد من الرشاقة والسرعة فى العدو.

أمامى الآن غابة يبدو ألا نهاية لها، مع أن هناك طريقًا واسـعًا رحـبًا يشـقهـا وهو فى الغـالب الذى يؤدى إلى البلدة على البحيرة.

كانت الكلاب وكأنها تعـرف الطريق وتسرع وتسرع عسى أن تلقى الراحة فى البلدة القريبة... مع ذلك بدأت أسـحب اللجـام لأجعلهـا تتـوقف. لاح لى على يسـار الطريق من بعيد ما يشبه المـنزل... منزل خشبى كبير بنى على عجل رغم قـدم هيئته... سـألت نفسى... هل هذا بيت قاطع الطريق.. البطريق؟

تقدمت بحذر مـعتمداً على قـوة بصرى التى تمنحنى مراقبة من لا يتمكن من مراقبتى.

كان المنزل بعيداً عن الطريق... أمامه فراغ كأن الغابة تحـتـضنه.. انحـرفت بكلابى بين الأشـجـار وأنا أراقب صاحـبى اللذين سـرقانى... كانا مـربوطين إلى عـامود خـشبى أمـام المنزل... لمحت شيـئًـا يتحـرك فى الشرفـة الأرضـيـة للمنزل.. إنه هـو... مـرعب الجليـد... رأيت

رجلاً لم أر مثله من قبل حقًا... ضخم الجثة كأنه عملاق... بشرته بيضاء تميل للحمرة.. ذراعاه قويتان وعاريتان رغم هذا البرد القارس.

كان منظره يثير الفزع وله وجه شرس الملامح... وهو يفتش فى متاع الرجلين... لابد أنه سيكون سعيداً بالاستيلاء على متاعى الذى سرقاه.

فجأة ألقى بالأشياء جانبًا فى غضب وحمل سيفًا كبيرًا... وتحرك نحو اللصين وعرفت أنه سيقتلهما.

لم أشعر بنفسى إلا وأنا أنهر الكلاب لتسرع... المسافة التى بينه وبين الرجلين أقل من التى بينى وبينهما.

أسرعت الكلاب وأنا أصرخ فيها... لا ينبغى له قتلهما مع أنهما آذيانى عندما رفع يده التى كالهراوة

بالسيف البتار، فوجئ بى أقتحم ساحته الواسعة ثم أتوقف وأشد سهمًا فى قوسى وأوجهه نحوه صارخًا فيه:

- إياك... دعهما.

نظر لى باحتقار وصغار.. كان بوسعه أن يمضى فى قتلهما دون الاعتناء بى... لكنه انصرف عنهما وتوجه نحوى كجبل متحرك... نزلت عن الزحافة وبدأت أتراجع للخلف ومازلت أصوب سهمى نحوه... مازالت نظراته تحمل الاحتقار والشفقة علىّ... لا يعرفنى... لا يعرف أننى قد أقتله بسهم واحد... شعرت أنه يسرع الخطى... وقد يجرى نحوى... أطلقت السهم على قبعته فتوقف برأس عار فى حالة مفاجأة بينما كان السهم الثانى فى القوس مستعد للعمل.



أبت نفسه المتكبرة الاعتراف بقدرتى الماهرة على التصويب.. عاد من جديد يتقدم كآلة بشرية ضخمة، وانقلب الاحتقار من عينيه إلى غضب ورغبة فى الانتقام... تراجعت فاصطدم ظهرى بشجرة... حاول استغلال الفرصة بأن أسرع نحوى... أطلقت السهم فى حذائه فرشق وثبت قدمه بالأرض... مر السهم من بين أصابع قدمه... عاد للغضب، جذب قدمه بقوة وهو يزأر كالأسد... السهم الثالث مستعد.. أطلقته فمر من فوق كتفه لكن من تحت ملابسه... لماذا لا يعترف بقدرتى على إصابة قلبه أو عينه... لم يعبأ... وهيأ له عقله المغرور أنه قد انتهى إذا استسلم لغلام هو قاهر الرجال وآكلهم. لم يعد هناك بد... ألقيت بالقوس خلف ظهرى وأخرجته وأخرجت السيف من غمده وقد أراحه هذا كثيراً.

بدأ يبارزنى.. سيفه كبير ثقيل يستعمله لإخافة الناس لكنه غير ماهر به فى المبارزة... تلاعبت به عدة مرات وأنا أسمع اللصين اللذين سرقانى يقومان بدور المشجع ويصرخان حتى أفوز عليه وأهزمه.

أرهقت الضخم وجعلته يلهث وهو لا يهدأ عن رفع سيفه عاليًا ليهوى به علىّ فلا يجد غير الهواء حيث إننى أقفز خلفه... أدرك عدة مرات.. أدرك أننى يمكننى قتله لكنى أرحمه.

ومع ذلك وجدت معاناة فى هذه المبارزة... فهو أدرى بالأرض التى يلعب عليها منى... وهذا الطقس يرهقنى... كاد أن يصيبنى بسيفه فانبطحت أرضًا حتى ابتلعت الثلج ودخل فى عينى.. وأدركتُ أننى هالك

فضربته على ساقه بالسيف وجرحته فسقط تاركًا سيفه يصرخ محاولاً منع الدم من التدفق.

جريت إلى اللصين فحررتهما من قيدهما.. استعدت كل ما كنت أملكه وظلا يعتذران لىّ عما بدر منهما.. استعدت زحافتى وتركتهما يرحلان بينما أكملت طريقى نحو البلدة فى إرهاق شديد.

لما دخلت البلدة فوجئت بالناس يعرفوننى فلم أصدق نفسى... ورأيت تمثالاً فى وسط ميدان فسيح فأصابتنى دهشة ممتزجة بالضحك، وأحاط بى الناس من كل جهة وحملونى على الأعناق حتى رحب بى عمدة البلدة ترحيبًا مبالغًا فيه، وعلى الفور وضعت لى كل وسائل الراحة بجانب طعام ساخن شهى كنت فى أشد الحاجة إليه.

- سيدى... لا أستطيع تحمل كل هذه الحفاوة... كما لا أستطيع التعبير عن شكرى... لماذا؟

- أرى أنك بحق لا تعرف.. أنك بطل -ونحن نعلم عنك الكثير، عن شجاعتك وعن مغامراتك السابقة- ... وأن حكايتك مع سيناى ووالده نحكيها لأطفالنا فى المدارس ويتحدث ببطولاتك الجميع فى الأمسيات... الأبطال فى هذا الزمان يا مؤمن شىء نادر... لم تكن بلدتنا هذه موجود قبل سنوات.. ولما هاجر إل‍ـ‍ما الناس وأنا أولهم حملنا معنا حكايتك حتى أصبح‍ـ طورة... وأهمس فى أذنك.. طبيعة الناس تفرض م... عفواً... تفرض عليهم التهويل والمبالغة.. سمعت عن بطولات لم تفعلها فلا تعجب...بل فى النهاية يُحمل الأمر لصالحك.

- فهمت...

- ألم أقل لك...

- يبدو أننى ما جئت إلى بلدتكم إلا لتحطيم ذلك التمثال.. أنا لا أحب ذلك يا سيدى ولا يحب الله ذلك أيضًا... إنما تكريم الناس يكون بدعاء طيب. وكلمة طيبة... لكن ماذا لو سألنى الله عما لم أفعله وحاسبنى على ما قصمتم به ظهرى من مدح مبالغ فيه؟

- أعذرهم يا مؤمن... فهم يحبونك... كانوا فى شوق لرؤيتك... وظلوا يلحون على سيناى حتى أعطاهم أوصافك فبرع الفنان فى تصويرك.

- أتعرف يا سيدى... أتعرف أن الناس قديمًا ما عبدوا الأصنام إلا بسبب تمثال كالذى وضعتموه لى... حيث عاش بين الناس -قبل أن يبعث الله نوحًا عليه

السلام- عباد صالحون أتقياء. وكانوا يدعون أقوامهم إلى طاعة الله وعبادته، ولما مات هؤلاء الصالحون أراد الشيطان أن يضل قومهم فأوعز إليهم بصنع تماثيل لهم حتى يتذكروهم.. وظلت التماثيل باقية ودار الزمان، فقدسهم الناس ثم عبدوهم من دون الله.

- أعوذ بالله.. أعوذ بالله.. أستغفر الله العظيم.. مؤمن.. نحن فى أقصى الأرض ولا يصلنا من العلم إلا القليل.. فالتمس لنا العذر يا ولدى... وسأكسر هذا الصنم.. لكن هكذا لن أكسب إلا كره الناس لى... ماذا لو. ا.

- سأخبرك أنا الذى سيكسر صنمه.

رفضت أر أو أرتاح حتى حملت معولاً وذهبت للميدان فتجمع الناس حولى فقمت فيهم أبين لهم

الحكمة من ذلك... وأن الإنسان الوحيد الذى يستحق التكريم فى هذه الدنيا هو الرسول عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك لم يصنع له تمثال... ولم تعبد خصوصياته من بعده... لأنه ما جاء إلا لإرشادنا لعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأزال كل ما يُعبد من دون الله من الأوثان وحطم الأصنام.

ولما سمع الناس حديث مؤمن زال عنهم الجهل وساعدوه فى تحطيم تمثاله، فلما انتهوا شكرهم على تفهمهم ورغبتهم فى إرضاء الله... وأخبرهم أنه لا يجوز لأحد أن يمدح أحداً إلا أن يقول أحسب أن فلانًا كذا... لأن الله وحده هو الذى يعلم الصالحين من عباده والمفسدين وتقبل الناس الوعظ بصدور منشرحة، وعاد

مؤمن إلى بيت عمدتهم سعيدًا وأكل وشرب ونام نومًا عميقًا.

فى اليوم التالى بدت لى البلدة مختلفة... فدائمًا يكون المكان مختلفًا عن أول مرة تشاهده فيها. وذهبت للبحيرة وبرفقتى عمدة البلدة... وأخبرنى أن الشتاء القارص يجمد سطح البحيرة فقلت له ساعتها تثقبون فى الجليد وتصطادون السمك من الثقوب.. ضحك ودعانى لتناول الغذاء فى البيت... وبعده سألته عن السبب الذى نشأت البلدة من أجله على البحيرة:

– هل جئتم هنا من أجل الصيد فى البحيرة.

– فى الحقيقة يا مؤمن... ليس هو السبب الوحيد... إنما هناك أسباب أهم بكثير.. بلدتنا هذه لها تاريخ قديم... مع أننا لما هاجرنا إليها لم نجد بيتًا ولا قبرًا...

بطريق الصدفة عرف شعب هذه البلدة أنهم هم أهلها الأصليون.. فجاءوا يعيدون ذكرى الأجداد ويعيشون فى نفس المكان الذى خرج منه آباؤهم من قبل.

- وكيف عرفوا ذلك بالصدفة.

- كلهم يا ولدى ينحدرون من قبيلة واحدة.. أقارب... ولهم لقب عائلى واحد، مع أن كل منهم يعيش فى مكان مختلف عن الآخر... حتى عثر صياد على وثيقة مدفونة فى الثلج كتبت على جلد كاريبو ... وتحكى أن أهل البلدة غرقوا كلهم بسبب ذوبان الجليد وفيضان البحيرة، وحددت الوثيقة مكان البلدة، فحمل كل واحد من أهلها متاعه وجاء حتى عمرنا البلدة من جديد وها هى كما ترى... نعتمد على الصيد ونعيش.

كنت ألمح فى صـوته ونظرات عينيـه شيـئًا يؤرقـه...
أهناك شىء يشغل بالك.. أم هى عادتك؟

- سأقول لك كل شىء.. ولولا أنك مؤمن الذى سمعنا عنه... لســألتك كــيف وصلــت إلى بلدتنا بـالرغم من... من...

- البطريق!!.. أليس كذلك؟

- هل واجهته.

- واجهته وأنقذت رَجُلين من سيفه وبارزته.

فرح الرجل وقفـز من مقعده وهو يسـأل سؤالاً لا يرجو له سوى جواب بعينه:

- أو قتلته يا مؤمن؟

- لا يا سيدِي... لم أقتله.

- لماذا؟... لماذا يا مؤمن... لماذا بالله عليك.

- قـدرت عليه ومن أقْـدِر عليـه.. أحلم عليه... أمـا إذا قدر عليّ وتأكـدت من هلاكى فلن أتردد فى أن أرديه متى استطعت.

- أمرك عـجيب... لابد أنك لا تعرف أن الـبلدة تعيش فى شقاء بسببه... ولقد عزلنا عن العالم... منع الناس من الخروج أو الدخول إلى البلدة.

- لماذا؟... هذا سـؤال محـير... إذا كـان البطريق يقطع الطريق للسرقة والنهب فلماذا يقـتل بهذه الوحشية... ما الداعى لذلك؟

سكت العـمـدة برهة وهو يـنظر للأرض ورفع بعـد قليل وجهه ونظر إلىّ وقـد تقطرت جبهته عـرقًا فعلمت أن الأمر خطير وانتظرت أن يتكلم:

- هناك... هناك تمثال من الذهب يا مـؤمن... أخبرتنا به الوثيقـة التى تركهـا لنا الأجداد.. وهو مـوضوع فى جذع شـجرة من ملايين الأشجـار الموجودة فى غابتنـا الكبيرة... لكـن هذا الخبر بالذات كـتب فى الوثيقـة على هيئة شفرة لـم يتمكن أحد من فهـمها إلا أنا... أنا يا مـؤمن... ولم أخـبـر أحـدًا بـهـذا الأمـر... قيل إن التـمثـال من الذهب المضغـوط... وأن من يعـثر عليـه يصبح أغنى رجل فى العـالم.. آسف لما سأخبرك به يا مؤمن... آسف بشدة.. كنت أنوى أن أعـثر عليـه وأحـتفظ به لـنفسى ولم أجـد مـعينا لى فى هذا الطمـع وهذه الخيـانة لشعـبى إلا البطـريق، وكـان الجـزاء أن سرق البطريـق الوثيقة منى وهددنى بالقتل إن طالبته بها، وبدأ هو ورجاله فى البحث عن تمثال الذهب.

- رجاله... لم أر أن معه أحداً يا سيدى العمدة.

- لم يدخر واحدا لنفسه... كلهم فى الغابة.. يقطعون الأشجار بشراسة من أجل الحصول على التمثال... الذى هو إرث الأجداد... ولكل طفل فى بلدتنا هذه نصيب فيه.

تنهدت ثم سألته:

- سيدى.. ألم تحتفظ بنسخة من الوثيقة التاريخية.

- للأسف... انتزعها البطريق قبل أن أدون ما فيها.

انتهت مناقشتنا وأراد أن ينصرف لبعض شئونه.. فبقيت فى البيت أفكر فيما يمكن حمله من أجل حق هؤلاء الناس فى الكنز... كما بدأت تتضح لى خيوط هذه المغامرة... وبالليل نمت على عهد مع الله أن أنهض فى جوف الليل لأصلى.. لذلك يكون نومى خفيفا بعض الشىء.

سمعت والناس نيام صوت (خروشة).. فتحت عينى وأنا أنظر لظل القمر فى الجدار أمامى... رأيت شبح رأس إنسان تطل من النافذة... مددت يدى إلى سيفى الذى أضعه فى هذه الأحوال بينى وبين الجدار... قفز الرجل من النافذة وكنت أستدير له بقوة وأنا ألمح فى اللحظة الأخيرة شبح رجل آخر يتقدم... ضربنى الرجل الأول بسيفه ليشطرنى نصفين عندما تفاديت ضربته ولمست ركبته بسيفى فجرحتها فلم يتمكن من الوقوف فاحتضنته بذراعى واستدرت به جهة الثانى الذى كان يطعن بقوة فأصابت طعنته زميله فوقع قتيلا.. فلما رأى ذلك هم بالقفز من النافذة فلم ألحق به، إلا أننى حززت رسغ قدمه بالسيف فلم يتمكن من المشى مع أنه قفز خارج الحجرة.. قفزت خلفه فوجدته على الأرض يتألم

والدم ينزف من ساقه.. وأحدث الأمر جلبة؛ فأقبل حراس بيت العمدة وأيقظوه، وتجمع الكل أمام المجرم المصاب. فحملوه واستجوبناه وعرفنا أنه أحد أفراد البطريق.. نظر لى العمدة وقال:

- إنه ينتقم منك.. وأعتقد أنه لن ينسى ما فعلته به.

في اليوم التالى قرر العمدة أن يلقن البطريق درسًا، وجمع لذلك رجالا لأول مرة فى تاريخ البلدة للحرب وتأمين حياة الناس، وأرادنى على رأس هذه القوة... فبدأت مع البطريق عدة مناوشات هنا وهناك... وأصبح الأمر بين كر وفر... لم ننتصر عليه ولم ينتصر علينا... وكان لى فى المسألة رأى:

- سيدى العمدة... البطريق سيظل يشغلنا بأمهر رجاله بينما الآخرون ينقبون عن تمثال الذهب فى الغابة.



- وما العمل يا مؤمن؟

- نقاتل ليس من أجل تلقينه درسًا أو استعادة الوثيقة... بل من أجل أن نستولى على أكبر جزء من الغابة ونسيطر عليه ثم نبدأ فى البحث عن التمثال فقد نجده.

حاولنا الاستيلاء على الغابة... دارت بيننا وبين البطريق حروب طاحنة... ولكن بعد مرور أكثر من شهر استطعنا أن نقتطع منه جزءاً كبيراً.

كان البحث عن الذهب محمومًا... وعرف الناس كلهم بأمره.. فأصبح الأمر أخطر مما سبق.. وما كان يؤلمنى هو التقطيع العشوائى للأشجار.

يقطع الناس الشجرة ثم يبدأون فى التفتيش فيها وهذا ما كان يأخذ الوقت الأكبر... فكيف بك تبشر شجرة بشراً حتى تعثر على بغيتك داخل جذعها

الضخم.. خاصة وأن الكنز قـديم ولابد أن الشجرة التى تخفيه قد أمعنت فى ذلك بقشورها وغصونها الكبيرة.

وبين الحـين والآخر تدور الحـرب من جديد، إمـا أن تقتطع منه جزءاً أو يستولى هو على جزء منا.

الذهب هو المال.. هو فى تصـور الكثيـر من الناس السعـادة المنشودة وغيـر منصف من قال عكس ذلك... فـقـد زُين للناس حبُ الشـهـوات من الـنسـاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفـضة... من الإنصاف أن نقـول إن الذهـب.. المال.. لـيس وحـده السـبب فى تحـقـيق السـعـادة لكنه عنصـر مـهم وقـوى... والمؤمن القـوى خيـر وأحب إلى الله من المؤمن الضعـيف وفى كلٍ خـيـر... أمـا أن يسعى النـاس إليه مـتذرعـين بكل وسيلة مشروعة أو غير مشـروعة فهذا عين الغباء.. لأن

السعى إنما يكون باستخدام الوسائل المشروعة... وأخطأ من قال إن الغاية تبرر الوسيلة. على الإنسان أن تكون غايته هى إرضاء الله تعالى متخذا كل وسيلة لذلك... فانظر أى وسيلة ترضى الله تعالى عنك ثم اتخذها مطمئنًا.

وجدت نفسى فى هذه البلدة بين الجليد والبرد وبين حرارة الحرب ونار الصراع وحمى الذهب الملتهبة، أشفق على أهلها.. ودخول الشتاء يعنى ندرة الصيد مع الحاجة إلى الطعام والدفء... أمضى الناس أفضل أيام الصيد والادخار فى حرب من أجل الذهب... معهم حق... فالإنسان لا يجب عليه ترك حقه وحق أولاده فريسة فى أيدى الطغاة والظالمين.. بل عليه أن يكافح فى سبيل استعادة حقه.

كل يوم بعد أن تشرق الشمس نخرج إلى الغابة.. يذهب الحراس الليليون للنوم بينما يستلم النهاريون الخدمة.. ويقوم أناس بتقطيع الشجرة ثم يتركونها لغيرهم بالمناشير والمطارق يفتشون فيها... بدأ يتسرب إلى قلبى شعور قد يكون خاطئًا أن هذه الغابة الهائلة المساحة لا تحتوى أى شجرة فيها على تمثال الذهب المزعوم.

جاءنى العمدة وهو يحكم غطاء رأسه بسبب البرد ونحن فى الغابة قائلا:

- يبدو أن البطريق قد قنع يا مؤمن بالقطعة التى يبحث فيها.

- أتقصد كونه قد توقف عن القتال؟... لا أعتقد ذلك يا سيدى.. إنما يفكر بدهاء... يستغل هدنة من أجل الإسراع فى البحث... سيدى... أنا أشك فى كل ما

يحدث هنا... وأرى أن تسمح لى بالحصول على الوثيقة.

- الوثيقة مع البطريق.

- أين يمكنه أن يخفيها.

- لا أدرى يا مؤمن... بالتأكيد فى بيته.

- خطر لى أن أستعيدها منه بينما هو مشغول هنا بالبحث والحرب.

- وماذا ستجد فيها.

- لا أدرى... لكن هذه الأوراق القديمة تحتاج إلى عناية أكبر فى قراءتها.

سمح لى العمدة بهذا العمل... فتركت الغابة وركبت زحافة تجرها الكلاب وقررت الوصول إلى بيت البطريق عن طريق مختلف كى لا أثير الشكوك.

فوجئت وأنا أرقب البيت من بعيد بحارسين يقومان بخدمة سيارة حول البيت. تركت الزحافة بعيدا ودنوت من البيت.. وحددت المكان الذى يجب الدخول منه... كانا يدوران حول البيت، الواحد عكس الآخر.. ويلتقيان مرتين أثناء هذا الدوران... مرة أمام البيت ومرة خلفه.. انتظرت المرة التى يلتقيان فيها خلفه ثم عدوت إلى نافذة وقفزت منها إلى داخل البيت... وحمدت الله أن أحداً لم يشعر بى... لكن شيئًا ما لفت نظرى وأرَّقنى... نفس حافة النافذة التى قفزت منها... فى نفس الوضع الذى وضعت عليه قدمى... وجدت أثر حذاء... كان أحد قبلى فكَّر بنفس طريقتى.

البيت من الداخل مضاء بشموع من دهن الحيوان... كنت أبحث عن حجرة نوم البطريق... الناس عادة

يخفون أشياءهم الثمينة فى أماكن نومهم، لم أفكر فى سبب ذلك من قبل.

ازداد هاجسى لما رأيت آثار أقدام حديثة على البسط.. إنها تتجه إلى حجرة النوم حقًا.. أنا أرى الفراش من بعيد... مشيت على أطراف أصابعى بحركة مثيرة ستأتى بالحارسين... فوجئت أن حجرة النوم مقلوبة رأسًا على عقب... هناك من فتشها.. دولاب صغير مفتوح... به صندوق يحوى زجاجة... الزجاجة مكسورة... لابد أن الوثيقة كانت هنا.. من الذى سرقها من البطريق.. مَنْ... مازلت أشعر بأنفاس الذى كان هنا، وأعتقد أنه لم يتمكن من الخروج بعد.. فلأراقب آثار الأقدام.

عدت إلى الردهة وأنا أرى الحارسين يدوران كما هما حول البيت، ثم عنَّ لى العودة إلى حجرة النوم مرة

أخرى... أحسست أن السارق مازال فيها وأن دخولى عليه سيمنعه من إيجاد طريقة للخروج.

نزعت سيفى بهدوء وأنا أتجه مرة أخرى إلى حجرة النوم... نظرت إلى ستارة النافذة المنسدلة إلى الأرض... هناك شىء خلفها يرتعد أو يهتز أو أنه بسبب مرور الهواء داخل الغرفة.. كرش.. هذا فيما أظن كرش أحدهم لم يتمكن من شفطه.. سددت نصل السيف إليه بهدوء وأنا أضغط فشهق صراخًا خفيفا.. رفعت الستارة.. لأجدهما هما.. بعينيهما الرجلن اللذين سرقا متاعى من قبل.. ألقيا بالوثيقة أرضًا ورفعا أيديهما لأعلى، فأشرت لهما بالصمت. كانت نظراتهما ذليلة مختلطة بعرفان وندم ورغبة فى الصفح. التطقت الوثيقة ووضعتها فى حزامى ثم

طلبت منهما فتح النافذة بهدوء... نظرت وتسمعت لحركة الحارسين، ثم قفزت منها وهما خلفى، ونجحت الخطة، واستعدت الوثيقة، وعندما وصلت للزحافة كانا مايزالان خلفى:

- أليس لديكما شىء تفعلانه سوى السرقة؟
- و... وأنت أيضًا... ألم تدخل البيت لتسرقه.
- إنما كى أستعيد منه ما سُرق من أهل البلدة... أخبرانى... ما أمركما وإلا...
- نحن من تجار التحف.. نطوف حول العالم لنحصل على النوادر.
- لتسرقا التحف.. أليس كذلك.. من أخبركما بأمر هذه الوثيقة.
- دعنا ننظر إليها وسنقول لك الحقيقة.

المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين... ومن تعوَّد السرقة وسلب متاع الناس فلا تأمن له أبدا، ولقد أحسست أن مجرد نظرهما فى الوثيقة سيفقدها قيمتها، فرفضت فجعل أحدهما يضرب الآخر ويقول:

- ألم أقل لك.. ننظر فيها ثم يلقيها بعد ذلك وأنت الذى أصررت على أخذها.. أخذا يلحان فلم أستجب لهما مع شعورى أنهما يخفيان عنى شيئًا:

- لماذا لا نتفق؟ لديكما ما تخفيانه عنى.. أليس كذلك.. لماذا ستصبح هذه الوثيقة عديمة الفائدة إذا نظرت فيها.

- لا.. لن نخبرك بأى شىء.

- تذكر يا أخى أنت وصاحبك.. أنى أنقذتكما من القتل.. ولم أعاقبكما على ما فعلتماه معى من قبل.

- نحن لم نسـرق.. إنما كنا جائعـين ولسنا من أهل هذه البلاد.

- لن أريكما الوثيقة ولو بكيتما دمًا.. أنا ذاهب للبلدة.. وسأدعكما هنا للبرد والجوع.

- أرجوك.. أرجوك.

لم أسمع لهمـا.. بل صحت فى الكلاب وأنا أجذب اللجام فانطلقت ابى وهما يجريان خلفى... نظرت بعد قليل فكانا مازالا يتعاركان.

وفى البـيت جلسـت على فـراش أتفـحص الوثيـقـة المحيـرة... ثم انطلقت إلى العـمدة وأخـبرته أن الوثيـقة ناقصـة... هناك جزء منها مفـقود ولن يتم معـرفة مكان الكنـز الذهبى إلا بالـنصف الآخـر، وأخــبــرته بأمــر الرجلين.. وتأكد لنا أنهما يستطيعان حل الجزء المتبقى..

فأمر العمدة رجاله بالبحث عنهما وإحضارهما على وجه السرعة.

أما البطريق فلما علم بأمر سرقة الوثيقة من بيته غضب غضبًا شديدا وعاقب الحارسين بقتلهما... وجن جنونه فى اليوم التالى.

ذهبت للغابة لأصرف الرجال عن تقطيع الشجر وإعادتهم للبلدة حتى نقف على أمر الوثيقة الناقصة... فلمحت على البعد رجال البطريق يفرون من الغابة... ظننت أنه قد عثر على تاجرى التحف وأنه عرف مكان الكنز.. لكن حزنى وظنى لم يدوما طويلا عندما رأيت النار تندلع فى الغابة من بعيد.

الغابة ذات الأشجار المتراصة التى تشبه عيدان الثقاب فى صندوق واحد.. اشتعال عود واحد يعنى

التهام النار لبقية الأعواد.. جاء رجل يجرى ويلهث وهو يقول:

- البطريق يحرق الغابة... لقد يأس من العثور على الكنز.. سيحرق كل الغابة ثم يبحث عن التمثال فى الرماد.

ياله من مجنون.. كان الرجال يغادرون الغابة وأنا واقف أنظر بذهول لألسنة النار وهى تستعر وتلتهم الغابة الشاسعة شيئًا فشيئًا.

لا يجب على الإنسان العاقل الواعى أن يذهل عند مشاهدته لحدث دون أن يشغل باله بعواقب هذا الحدث.. تنبهت لنفسى.. وسألتها:

- ما عواقب هذا الحريق.

- نسيت أمر الكنز والوثيقة وأنا أفكر خائفا فى أمر آخر

أشد خطورة... الحـرارة... النار المستعـرة.. لا يفصل الغابة عن البـحيرة إلا جـبال من الجليـد تحجب البلدة عن الغـابة تماما.. الحـرارة الرهيـبة سـتذيب الجليـد.. وسوف يسـيل الماء فى البحيـرة.. ولن يجد له منفـسًا غـير البلـدة فتـغرق كـلها.. النيـران تلتـهب ملتـهمـة الأشجار فـى الطرق البعيد من الغـابة. يجب أن نفعل شيـئًا حـتى لا يذوب الجليد.. جـريت إلى البلدة وأنا ألهب الكلاب حتى دخلت على العمدة وكان قلقًا.

- ما العمل يا مؤمن.

- البطريق جن جـنونه... إمـا أن نطفئ النيـران قـبل أن تذيـب الثلـج أو أن نجلى الـسكان عـن البلدة قـــبل حـــدوث الكارثة.. وأرى أن الحـل الأخـيـــر لازم للاحـتيـاط فى جمـيع الأحـوال. كان رجـال البطريق

موزعين على مشارف الغـابة لمنع أى أحد من محاولة إخمـاد النيران ووقف هو على رأسهم كخـازن جهنم يسعِّرها -أعاذنا الله وإياكم منها.

كان الناس يحملون متاعهم قدر المستطاع ويخرجون من البلدة، وذكرنى هذا بالفسطاط عندما حرقـها شاور وأخرج منها أهلها فلم أطق هذه الذكرى.

النيـران تسـتـعـر بصـوت رهيب وحطام الأشـجـار والشظـايا المحـتـرقـة تتطاير هـنا وهنا والريـح تزكى الاسـتعـار... خرجت مع الناس وركـبت زحافـتى إلى أعلى تل فى المنطقة لأدرس الوضع من منظور أفضل.

فوجـئت بأن جبال الجليد بدأت تتـحرك وتسير عـائمة على الـسطح الذى أخــذ يذوب هو الآخــر... الـكارثة وشـيكة، الفيـضان قـادم. سيـمـحو البلدة من على وجـه



الأرض. دعوت الله أن يحمى هذه البلدة ويحفظها لسكانها الطيبين.. لاح لى منظر عجيب... أكبر الجبال الجليدية الذى يحجز البلدة عن الغابة أصبح ينشق نصفين بفعل الحرارة التى حولت هذه المنطقة الباردة إلى جحيم.

فكرت بسرعة أننا لو حولنا اتجاه السيل بدلا من أن يصيب البلدة.. يتجه إلى الغابة وهكذا نضرب عصفورين بحجر واحد.

لكن هذا الأمر يحتاج إلى قوة كبيرة وعمل مضن وسباق مع الزمن .

الماء يزداد فى البحيرة... بدأ يغرق مساحات واسعة من الشاطئ. انطلقت حيث كان الناس يفرون..،. واستعدت الرجال وأمرتهم بحمل المعاول وأى شىء يحفرون به.

لحسن الحظ أنهم كانوا يثقون بى... فأى واحد فى موضعهم لن يطيب له سوى الفرار... جمعت عددا كبيراً منهم وانطلقنا حتى وقفنا صوب جبل الجليد المنصهر وصحت فيهم.

- هذا الشق فى الجبل لو نجحنا فى توسيعه فسيفيض الماء من البحيرة إلى الغابة.

علينا الوصول إلى الجبل، إما أن ندخل من جهة الغابة المشتعلة وفى ذلك خطر عظيم.. أو أن نسبح فى ماء البحيرة الشديد البرودة.

مازالت القوارب مكانها... استعملناها حتى وصلنا للجبل وتجمع الرجال فى الشق، وأخذوا بقوة تعززها الرغبة فى البقاء بتوسيع الشق.. كانوا يحفرون فى

الجليد ويصنعـون منزلقا نحو الغابة بينمـا كان الماء يزيد منسوبه في البـحيرة المحـاطة بالجبال الجـليدية.. لـم يكن المنفس الوحيد لهذا الضغط الهائل من الماء سوى إغراق البلدة، وتحول المكان كـله إلى بحيرة أو إلى حـوض ماء عملاق لا يطيق نفسه من الضغط الشديد.

- احفروا ووسعوا الشق.. واجعلوا اتجاه الميل نحو الغابة قبل أن يجرفنا الماء معه.. أسرعوا.

لاحظ رجـال الـبطريق مـا كنا نـفـعله.. فـفطـنوا لنا وتجـمعـوا من بعـيـد، ورأيتـهم ينظمـون صفـوفـهم فى عـشـرات الرجال.. ثـم اتجهـوا نحـونا مـسـرعين والنار خلفهم كأنهم الزبانية.. صرخت فى الرجال أن يسرعوا، وعند اللحظة الحاسمة طلبت منهم ترك المكان والإسراع

للقوارب.. كادوا يسألوننى عن السبب فلما أشرت نحو رجال البطريـق.. فطنوا لخطتى.. فأسرعـنا إلى القوارب وأخذنا فريق العـودة نحو البلدة بينما الماء يزيد والنار تسعر الجليد الذى انعكس على صفحته الملساء مشهد النيران فكأنه هو النـار.. وعندما وصل المطاردون إلى الجبل لم يكن الماء ليصبر على مقاومة الفرج فى الجبل فانـدفع منه كنهر غـاضب... فوجئ البطريق ورجـاله بفـيـضـان رهيب وشـلال أغـبى من عـقله.. حـاولوا التـرا- لكن الماء لطمهم وحـملهم فـألقى بهم فى الغـابـ جـريح وقـتـيل.. وانسـال المـاء يضـرب الأشـجار ـتعلة حـتى أغرق الغـابة كلها ولم تجـد النيران سبيلا للبقاء فتراجعت من فورها.

وأخذ النـاس يتقافـزون فرحـًا هنا وهناك لما رأوا الماء ينحسـر عن بلدتهم متـجهـًا نحو الغابـة وقد زال الخطر عنها.

لا أدرى متى حُـملتُ على الأعناق وهم يطوفون بى فى أرجاء البلدة، فطلبت منهم أن يسجـدوا لله شاكرين على السلامة.

تجمعنا كلنا فى مسجد البلدة وصلينا لله شكرا... ثم خـرج البـعض إلى الغابـة وأحضـروا جـثث الموتى من رجال البطريق.. لكن لـم يعثروا له على أثر.. وبتنا ليلتنا على مـا نحن فيـه من فرح بـالنجاة.. نحـمل همًا آخـر وهو.. البطريق اللعين.. مع أن مـعظم رجاله قد هلكوا فى الطوفان.

وفى الصباح بعد أن تناولت الفطور بصحبة عمدة البلدة...

- سيدى.. من حق البلدة أن تنعم بالأمان.. وأرى أن القبض على البطريق ومعاقبته مما يوفر للناس الأمن وراحة البال...

- وأنا معك يا مؤمن...

لم يكن لدى وقت لأشرح للعمدة أمر تاجرى التحف، ولم تكن هناك فرصة لأتحدث معه عن تمثال الذهب... جمعت رجالا مسلحين من أهل البلدة لمطاردة البطريق والقبض عليه.

وكانت وجهتنا الوحيدة هى بيته.. وعندما وصلنا لم نجده ولا أحدًا من رجاله... ووقفنا حائرين إلى أن رأيت آثار زحافات تتجه إلى مكان غريب غير الطريق العادى.

- من هنا يا رجال... إلى أين تصل هذه الآثار.

قال رجل وهو مندهش:

- لو ذهب البطريق فى هذا الاتجاه فهو هالك.. لأن هذا الاتجاه لا يصل إلا للهضبة.. وهى مكان مرتفع يطل على أرض أخرى يستحيل الوصول لها من هنا.

- لماذا.

- الارتفاع شاهق يا مؤمن... والانحدار قوى... ولو سقط أحد من فوقها لتحطمت عظامه على الصخور.. لابد أنه يود الانتظار لأن الهضبة قريبة من هنا.

- إذاً هيا بنا نستطلع الأمر.

- مـعك يا مؤمـن... ولكن سنترك الـزحافـات ونذهب على الأقدام.. أقول لك إن الانحدار شديد ويمكن أن ننزلق بسهولة ونهلك.

كان مـحقًـا فالأرض بدأت تميل بنا لأسـفل.. ونحن نسـيــر على جليـد ويـمكن أن ننزلق ولا شيء يمـكننا التشبث به... إلى أين ذهب البطريق.

لما اقتربنا كان المشهد يبعث على الخوف وكان كل واحد منا ممسكا بيـد الآخر حتـى لا ننزلق.. ورأينا البطريق.. نعم رأيناه.. هو ومـعه رجـلان من أتبـاعه كـما وجـدنا معـهم تاجرى التحف اللذين بليت بهما فى هذه البلاد.

كانوا يحاولون كسر شجرة وحيدة على حافة الهضبة تماما.. توقفنا مكاننا حـيث لا يمكن الذهاب نحوهم إلا

زحفا على الظهر.. البطريق مستند للشجرة.. بينما رجلاه يكسرانها وتاجرا التحف يمسك أحدهما الآخر خشية الوقوع. ولما أحسوا بنا ضحك البطريق ساخرا وقال وهو يشير نحوى:

- لماذا توقفت أيها البطل؟.. ألم تأت لأخذ التمثال.

لاحظت أن معه حبلا طويلا يلفه على غصن الشجرة.. وأدركت أنه قد يستعمله للنزول من الهضبة إذ الصعود من الوضع الذي يقف فيه صعب وقد يكون مستحيلا فما بال من معه... خفت وكان خوفي في محله؛ أن يلقى بتاجرى التحف من الهضبة.

نظرت لرجالى فوجدت الخوف يطل من أعينهم ولمحت عزمًا على عدم المخاطرة.

- اسمعوا.. أبقوا أنتم هنا، سأذهب إليه وحدى.

- لا يا مؤمن.. كن متعقلا.. الوضع خطير هناك.

تركتهم فلم يتمكن أحدٌ من الحركة أو منعى وإلا تسبب فى كارثة.. وصرخ البطريق فرحًا وهو ينزع تمثالا ذهبًا لحيوان الكاريبو من الشجرة، وأول شيء فعله أن ألقى برجليه اللذين استخرجا التمثال من فوق الهضبة.

كيف أنزلق على مؤخرتى وأثبت حركتى قدر الإمكان بقدمى ويدى... لما رآنى جازفت وتحركت نحوه أمسك بالشجرة الملتوية والتى بدت جذورها تصعد من أسفل الانحدار ثم قبض بيده على أحد التاجرين وقال لى مهدئًا:

- سألقى به إذا أعقتنى.

تشبثت بالجليد وأثقلت نفسى حتى ثبتُ مكانى مع علمى أنه سيقتلهما على أى حال، لكن لم أشأ أن أكون سببًا فى ذلك.

نظرت خلفى للرجال فوجدت عددهم قد نقص فقال لى أحدهم:

- ذهب بعض الرجال لإحضار حبل.

كان رأيًا طيبًا على كل حال... أنا جالس مكانى أقاوم انزلاقا مهلكًا قد يحدث لى فى أية لحظة، وأرى البطريق يربط طرف الحبل فى جذع الشجرة، وحدث أمر أغرب من الخيال... سقط أحد التاجرين وحده دون أن يرفعه أحد عندما لم يتحمل الارتفاع وأغشى عليه.

نظر لى البطريق نظرة إجرام وشقاء، ووضع التمثال على الأرض وغرسه فى الثلج حتى يتمكن من ربط الحبل.. فلما ربطه قلت فى نفسى.. لو ألقى بالتاجر الثانى فلن أدعه.. وكان ما كان... قبل أن يتناول التمثال دفع التاجر بيده فهوى وهو يصرخ صراخا مؤلما.

وكان هو يمنعنى عن الحركة، فتركت نفسى أنزلق بسرعة نحوه... وضعت الشجرة هدفًا لى حتى أمسك بها دون السقوط الرهيب.

فوجئ بى.. لم يظن لحظة أننى سأغامر وأجازف بحياتى هكذا.. كان يستعد للنزول بالحبل، عندها كنت أسرع منه حيث احتضنت التمثال بيد وجعلت الشجرة بين قدمى فاحتضنتها بكلتا يدى.

أمانى هو الشجرة وأمانه هو الحبل.. غضب غضبًا شديدًا، كاد أن يسقط على أثره، لكنه تمسك بالحبل حتى تعلق بيديه فى الشجرة.

حاول بكل قوته أن ينتزع منى التمثال أو أن يلقى بى لأسفل.. إذا تكلمنا عن الصراع الجسدى دون استعمال سلاح هو أقوى منى.. أقوى منى بمراحل. كنت محتضنا الشجرة كأنها أمى ورجلاى فى الهواء.. مد يده للتمثال حتى يأخذه منى.. نظرت خلفى لأعلى.. حددت المسافة بسرعة.. وبقوة طوحت التمثال للرجال فالتقفوه قبل أن ينزلق مرة أخرى.

وقف مشدوهًا كأن الأمر أربكه... كل ما فعله أنه انهار فى لحظة... تركنى ونظر ناحية الرجال وكأنه

يفكر جديًا في الصعود على المنحدر ليستعيد التمثال، لكن هذا من رابع المستحيلات، لأن الانحدار حاد جدا.. قدر الأمر ببطء، وقد أخذ رجل التمثال وجرى عائدًا به إلى البلدة... ونظر إليّ وأنا مازلت على وضعي لا يفصلني عن السقوط إلا الشجرة التي أعانقها معانقة ملازمة. أخشى من عدو عاقل لكني أرعب من عدو غبي غاضب.. سيحملني ويقذف بي وبنفسه من أعلى.

نظرت لأسفل.. كانت جثتا التاجرين مهشمتين بحجم قشتين من بعد الارتفاع.. قبضت باليد المعاكسة على سيفي عندما رأيت البطريق عازمًا على الانتقام، سحبت السيف وهو يلقي بنفسه عليّ... قطعت الحبل

الذى كـان ممسكًـا بطرفـه، كـاد يسـقـط.. لولا أنه ألقى بنفـسه علىّ.. انكسـر الجـذع من أعلى.. أنا على وشك السـقوط.. سأسـقط .. أنا أسقـط.. لم أجد غيـر طرف الحـبل.. تعلقت به وأصـبـحت فى الهـواء.. أمـا طرف الحبل الآخـر.. كان فى يدى البطريق... الثقـيل الضخم معلقًا أيضًـا فى الهواء والحبل ملفوف علـى ما تبقى من جذع الشجرة... كانت لحظة مرعبة... أنا فى طرف وهو فى الآخـر... والمنظر رهيب مـن أعلى.. لو ترك أحـدنا الحبل لسقط هو والآخر... حيـاتى رهن بحياته... وكان يعلم ذلك... تخـوفت من أن يدرس الأمـر بتـعـقل فى هذه اللحظة ويعرف بحكمة.. أنه ميت ميت... حتى لو نجا فسيفتك به أهل البلدة... فلماذا لا يذهب وأنا معه؟

ويبدو أنه بدأ يفكر في ذلك... كان تحتى قليلاً.. ورغم أنه أثقل منى ويجذب الحبل بى إلا أن حافة الهضبة التى كنت منحشراً تحتها أتألم من الضغط تمنعنى من أن أسقط.. لكنه لو ترك الحبل فسأسقط ومعى الحبل.

نظر لى مبتسماً... لكنه لو ترك الابتسامة الكريهة التى يدعى صاحبها الحكمة بينما يكون بعيداً من الموت قيد أنملة... عرفت أنه سيترك الحبل وسيدع الهواء البارد يداعب جسده قبل لحظات من سقوطه... لاحظت أن يديه تنزلقان على الحبل بدون مقاومة.. أشعر بالخطر.. أشعر أنه لم يعد بجانبى.. إنه يهوى... ترك الحبل.. لقد اتخذ القرار الحكيم... هو وبعده أنا... ذهبت القوة التى كانت تربطنى بالهضبة.. قوة الشر فى البطريق.. حقًا ..

لولا قوة الشر ما وجدت قوة الخير.. ولولا اللون الأسود ما عرفنا الأبيض.. ولولا الظلام ما كان النور.. أهوى بحق.. أسقط والهواء يحملنى والموت أصبح ينادى من أسفل يا لهوان الحياة.. يا لقرب الساعة... شىء مر من جانبى... كان أسرع منى... كرة أو شىء.. تنبهت من سكراتى... إنه حبل... نعم حبل... بكرة تنفك وهى تسقط بجانبى.. مررت بيدى اليمنى عليه.. تأكدت أنه حبل.. فى لحظة واحدة قبضت عليه... فاندفع بى لليمين ثم لليسار يؤرجحنى ثم يجذبنى لأعلى مرة أخرى... بينما البطريق مازال يسقط... فى اللحظة الأخيرة كانت ابتسامته البلهاء تتحول إلى غضب، لقد تم إنقاذى، لكنه غضب لن يدوم طويلا... شكرت

للرجال معاونتهم.. كانوا يضحكون وقد أنقذونى بحبل عثروا عليه فى بيت البطريق... من جديد تحط قدماى على الأرض.. مازال لى عمر جديد... لكن أن ترى الموت وتعرف معناه، تعرف أنه لم تكن الحياة لولا وجود الموت.

تمت بحمد الله تعالى

***

مغامرات عجيبة جداً

١ - جوهرة الكهف المسحور.
٢ - جوهزة البحر السابع.
٣ - جوهرة البركان الأحمر.
٤ - جوهرة مملكة الموتى.
٥ - جوهرة الأدغال المتوحشة.
٦ - جوهرة الصقيع المظلم.
٧ - جوهرة البريق الغامض.
٨ - جوهرة المدينة المتحجرة.
٩ - جوهرة ميناء المذبح.
١٠ - جوهرة الرمال الملتهبة.
١١ - جوهرة معبد الشمس.
١٢ - جوهرة السحر الأسود.
١٣ - جوهرة مصاص الدماء.
١٤ - جوهرة التنين الطائر.
١٥ - جوهرة سجن المستحيل.
١٦ - جوهرة الديناصور سام.
١٧ - جوهرة عقلة الإصبع.
١٨ - جوهرة المحيط المخيف.
١٩ - جوهرة القلعة المسكونة.
٢٠ - جوهرة الزهرة القاتلة.
٢١ - الكنز الأسطوري.
٢٢ - الأربعين حرامي.
٢٣ - الذقن المتحركة.
٢٤ - الأرض المقدسة.
٢٥ - اجوهرة لتمساح الرهيب.
٢٦ - جوهرة الجزيرة المجهولة.
٢٧ - جوهرة المتاهة المخيفة.
٢٨ - جوهرة السباق المحموم.
٢٩ - جوهرة الفرقة الانتحارية.
٣٠ - جوهرة العروق الذهبية.
٣١ - جوهرة القلب الميت.
٣٢ - جوهرة النفق الأسود.
٣٣ - جوهرة الروح الشريرة.
٣٤ - جوهرة وادي الهلاك.
٣٥ - جوهرة الثقب الأسود.
٣٦ - جوهرة حرب الكواكب.
٣٧ - جوهرة عصر الزواحف.
٣٨ - جوهرة لعنة الفراعنة.
٣٩ - جوهرة الأخ الغائب.
٤٠ - الأميرة والقرصان.
٤١ - جوهرة معسكر الخطر.
٤٢ - جوهرة السفينة الضائعة.
٤٣ - جوهرة المنابع المجهولة.
٤٤ - جوهرة العطش القاتل.
٤٥ - جوهرة التاج المفقود.
٤٦ - جوهرة السيف الذهبي.
٤٧ - جوهرة مدينة الأهوال.
٤٨ - جوهرة المومياء الفارقة.
٤٩ - جوهرة الفيضان المدمر.
٥٠ - جوهرة القارة المفقودة.
٥١ - جوهرة الصقر الكبير.
٥٢ - جوهرة جبل العسل.